www.refaad.com

Contemporary Studies in Social Sciences (CSSS)
دراسات معاصرة في العلوم الاجتماعية
Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/20
E-ISSN 2959-7609 | P-ISSN 2959-7595
Vol. 3, No. 2, 2025, pp. 84 - 95

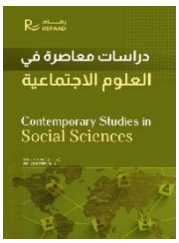

The Critique of Arab Reason in Mohammed Abed Al-Jabri: An Analytical Intellectual Reading

نقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري -قراءة تحليلية فكرية-

Abdallah Hashim Al-Ghezzawi[1*]
[1] PhD Student in Philosophy at Saint Joseph University, and Teacher at Housh Al-Harimeh Public School, West Bekaa, Lebanon.
[*] Corresponding Author: Abdallah Al-Ghezzawi (abdallah.ghezzawi86@gmail.com)

عبدالله هاشم الغزاوي[1*]
[1] طالب دكتوراة في الفلسفة في جامعة القدّيس يوسف، ومدرّس في مدرسة حوش الحريمة الرسمية- البقاع الغربي- لبنان.
*الباحث المراسل: عبدالله الغزاوي (abdallah.ghezzawi86@gmail.com)

This file is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2025/6/25	2025/8/17	2025/8/31

DOI: https://doi.org/10.31559/CSSS2025.3.2.1

Abstract:

Objectives: This study aims to analyze the critical project of Mohammed Abed Al-Jabri by tracing his philosophical visions and his deconstruction of the structure of the Arab mind in light of tradition and modernity. It also seeks to assess Al-Jabri's impact on contemporary Arab thought and to clarify the extent to which his theses have contributed to reshaping the relationship between the Arab past and the intellectual requirements of the present.

Methods: This study adopted a critical-analytical approach employing the tools of understanding, deconstruction, and interpretation, with the aim of providing a comprehensive examination of Mohammed Abed Al-Jabri's project on the critique of Arab reason. It seeks to uncover the epistemological and methodological foundations upon which his work is built, as well as to trace his intellectual trajectories in addressing the issues of heritage and modernity within the Arab-Islamic context.

Results: The results revealed that Al-Jabri's project represents a serious intellectual attempt to overcome cognitive stagnation, through his call for a rational and critical reading of heritage that distinguishes between what is enduring and what should be surpassed, without falling into Western dependency or breaking with authenticity.

Conclusions: The conclusion emphasizes that this project constitutes an important cornerstone in the context of modern Arab thought, as it provides a clear call to reconstruct Arab reason on modern epistemological foundations, accommodating modernity without denying the past, and restoring to heritage its vital role in shaping consciousness and the future.

Keywords: *Critique of Arab Reason; Heritage; Modernity; Cultural Identity.*

الملخص:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى تحليل المشروع النقدي لمحمد عابد الجابري، من خلال تتبع رؤاه الفلسفية وتفكيكه لبنية العقل العربي في ضوء التراث والحداثة، وتقييم أثر الجابري في الفكر العربي المعاصر، وبيان مدى إسهام أطروحاته في إعادة تشكيل العلاقة بين الماضي العربي ومتطلبات الحاضر الفكري.

المنهجية: اعتمدت هذه الدراسة منهجًا تحليليًّا نقديًا يتوسّل أدوات الفهم والتفكيك والتأويل، قصد الإحاطة الشاملة بمشروع محمد عابد الجابري في نقد العقل العربي، والكشف عن الأسس المعرفية والمنهجية التي قام عليها، فضلًا عن تتبّع مساراته الفكرية في مقاربة إشكاليتي التراث والحداثة في السياق العربي الإسلامي.

النتائج: أظهرت النتائج أن مشروع الجابري يمثل محاولة فكرية جادة لتجاوز الجمود الفكري، عبر دعوته إلى قراءة التراث قراءة عقلانية نقدية تفرق بين ما هو قابل للبقاء وما ينبغي تجاوزه، دون الوقوع في التبعية للغرب أو القطيعة مع الأصالة.

الخلاصة: تؤكد الخلاصة أن هذا المشروع يشكل ركيزة مهمة في سياق التفكير العربي الحديث، لما فيه من دعوة واضحة لإعادة بناء العقل العربي على أسس معرفية حديثة، تستوعب الحداثة دون أن تتنكر للماضي، وتعيد للتراث دوره النابض في صياغة الوعي والمستقبل.

الكلمات المفتاحية: *نقد العقل العربي؛ التراث؛ الحداثة؛ الهوية الثقافية.*

الاستشهاد

Citation

الغزاوي، عبد الله. (2025). نقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري -قراءة تحليلية فكرية-. *دراسات معاصرة في العلوم الاجتماعية*، 3 (2)، 84- 95.

Al-Ghezzawi, A. H. (2025). The Critique of Arab Reason in Mohammed Abed Al-Jabri: An Analytical Intellectual Reading. *Contemporary Studies in Social Sciences*, 3(2), 84-95. https://doi.org/10.31559/CSSS2025.3.2.1 [In Arabic]

المقدّمة:

لَقَدْ عانَى الفكرُ العربيُّ ظاهرةً لافتةً جلُّها كان سببُهُ الاستعمارُ والسيطرةُ الغربيةُ عليهِ، فقد شهدَ حالةً من العشوائيّة مما أثّر بشكلٍ جليٍّ للعيانِ على صورةِ الهويّة الثقافيةِ، فهلّ العديدُ من المفكرينَ المحدثينَ إلى الانشغالِ بهذا التغييرِ ومعرفةِ جذورهِ لإبقاءِ وإنقاذِ ما تبقى من الفكرِ العربيِّ. من بينِ هؤلاءِ، برزَ محمدُ عابدِ الجابريّ (1935م-2010م) كأحدِ أبرزِ المفكرينَ الذين قدّموا مشروعًا نقديًا شاملًا يهدفُ إلى إعادةِ بناءِ العقلِ العربيِّ على أسسٍ نقديةٍ تأخذُ في الاعتبارِ التحدياتِ المعاصرةِ. يُعدّ مشروعُهُ "نقدُ العقلِ العربيِّ" من أبرزِ المحاولاتِ الفكريةِ لفهمِ وتحليلِ التراثِ العربيِّ والإسلاميِّ ضمن سياقِ العصرِ الحديثِ، مع التركيزِ على ضرورةِ تفكيكِ الخطابِ التقليديِّ وإعادةِ بناءِ الفكرِ العربيِّ بما يتماشى مع متطلباتِ الحداثةِ. فالعقلُ هو منطلقُ النهضةِ، من هنا تأتي أهميةُ هذه الدراسةِ المتعلقةِ بالتراثِ والحداثةِ، فقد كان للجابريِّ إسهامٌ مميّزٌ وفعّالٌ في هذا المجالِ عبرَ دعوتهِ إلى دراسةِ التراثِ العربيِّ الإسلاميِّ دراسةً إيبستمولوجيةً[1] (الكردي، 1992، صفحة 63) بعيدًا عن التأثيرِ الإيديولوجيِّ بكافةِ أشكالهِ وأنواعِه، وسترتكزُ الدراسةُ على نقدِ العقلِ العربيِّ وتسعى إلى تحليلِ مدى تأثيرِ الأنظمةِ المعرفيةِ الثلاثةِ (البيانيِّ، البرهانيِّ، العرفانيِّ) على العقلِ العربيِّ وكيفية تأثيرِ ذلك على قدرةِ الفكرِ العربيِّ على مواجهةِ تحدياتِ الحداثةِ والعولمةِ. كما تسعى إلى استكشافِ كيفية نقدِ الجابريِّ للتراثِ وتطبيقهِ للمنهجيةِ النقديةِ، وكيفية تأثيرِ هذا النقدِ على الهويةِ الثقافيةِ والعلميةِ في المجتمعِ العربيِّ. موزعةٌ على ثلاثةِ فصولٍ ومقدمةٍ، حيث سيأتي الفصلُ الأولُ ليُوضّحَ بنيةَ العقلِ العربيِّ وتكوينهُ، أما الفصلُ الثانيُّ فسيتحدثُ عن نقدِ الجابريِّ للتراثِ وقضايا الهويةِ، أما الفصلُ الثالثُ فسيقدّمُ تأثيرَ الجابريِّ على الفكرِ العربيِّ المعاصرِ، وستذيّلُ الدراسةُ بخاتمةٍ فيها أهمُّ ما توصّلت إليهِ.

مشكلة الدراسة:

تَكمُن مشكلة دِراسةِ محمدِ عابدِ الجابريِّ في نقدِ العقلِ العربيِّ في فهمِ كيفيةِّ تأثيرِ البنيةِ المعرفيَّةِ العربيَّةِ على مواكبةِ تطوّرِ الفكرِ العربيِّ المعاصرِ، وقد أتى هذا البحث يرتكزُ على مجموعة من الأسئلة التي تهدف إلى استكشاف العلاقة بين بنية العقل العربي وأنظمته المعرفية، ومدى أثرها على التطور الفكري والثقافي، بما يتوافق مع متطلبات العصر الحديث. ومن أبرز هذه الأسئلة: كيف تؤثر الأنظمة المعرفية الثلاثة (البياني، البرهاني، العرفاني) على بنية العقل العربي وتطوّره؟ وهل تؤدي سيطرة النظام البياني على الفكر العربي إلى الجمود الفكري وعدم القدرة على التكيّف مع التغيّرات المعاصرة؟ وكيف يساهم نقد الجابري للتراث في إعادة تأويل النصوص القديمة وتحديثها بما يتناسب مع متطلبات العصر الحديث؟ وما هو دور هذا النقد في تجاوز القراءات التقليدية التي قد تعوق التطور الفكري والنمو الثقافي؟ وأخيرًا، كيف يمكن الجمع بين الفكر النقدي والحفاظ على الهوية الثقافية لمعالجة التحديات التي يواجهها العالم العربي في ظل العولمة والحداثة؟ وهل يمكن أن يؤدي هذا الجمع إلى تطوير نماذج حديثة تحافظ على الخصوصية الثقافية وتدفع نحو الابتكار والتقدّم.

أهميّة الدراسة:

تكمُن أهميّة الدّراسة في مجموعةٍ من النّقاط يُمكن إيجازها فيما يلي:

- إبرازُ المشروعِ الفكريّ لمحمد عابد الجابريّ بوصفِه أحدَ أبرزِ المفكّرين العرب المعاصرين، وتسليطُ الضوءِ على جهودهِ في نقدِ بنيةِ العقلِ العربيّ وتحليلِ مكوّناتهِ المعرفيّة والتاريخيّة.
- إسهامُ الدراسةِ في فهمِ العلاقةِ بين التراثِ والحداثة، من خلالِ قراءةٍ تحليليّةٍ نقديّةٍ لأبرزِ أطروحات الجابريّ حولَ إشكاليّة الأصالةِ والمعاصرة، بما يعزّزُ الحوارَ الثقافيَّ والفلسفيَّ في السياقِ العربيّ.
- توفيرُ إطارٍ نظريٍّ متماسكٍ للباحثينَ والمهتمّينَ بالفكرِ العربيّ الحديث، يُعينُهم على تفكيكِ المنظوماتِ التراثيّةِ وتقييمِ إمكاناتِ التحديثِ من داخلِ العقلِ العربيّ ذاته، لا من خارجه.

منهجية الدراسة:

اعتمدتُ في هذه الدراسة منهجًا تحليليًّا نقديًّا يتوسّل أدوات الفهم والتفكيك والتأويل، قصد الإحاطة الشاملة بمشروع محمد عابد الجابري في نقد العقل العربي، والكشف عن الأسس المعرفية والمنهجية التي قام عليها، فضلًا عن تتبّع مساراته الفكرية في مقاربة إشكاليتي التراث والحداثة في السياق العربي الإسلامي.

أهدافُ الدّراسة:

تهدفُ هذه الدّراسة إلى:

- تحليل المشروع النّقديّ لمحمد عابد الجابريّ، من خلالِ تتبّعِ رؤاه الفلسفيّة وتفكيكِه لبنيةِ العقلِ العربيّ في ضوءِ التراثِ والحداثة.
- تقييم أثر الجابريّ في الفكرِ العربيّ المعاصر، وبيانُ مدى إسهامِ أطروحاتهِ في إعادةِ تشكيلِ العلاقةِ بين الماضي العربيّ ومتطلّباتِ الحاضر الفكريّ.

[1] الأصل الاشتقاقي لمصطلح الإبستمولوجيا épistémologie يتكون من الكلمة الإغريقية épistème وتفيد معان متعددة ومتكاملة منها: نقد critique ونظرية théorie ثم معرفة connaissance، ومن اللاحقة logie أي علم. والابستمولوجيا بوصفها مركبا تعني نظرية العلوم أو فلسفة العلوم، أي دراسة مبادئ العلوم وفرضيتها، دراسة نقدية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية.

فرضيّات الدّراسة:

الفرضيّة الرئيسيّة الأولى: أنّ مشروعَ محمّد عابد الجابريّ في نقدِ العقلِ العربيّ يُمثّلُ محاولةً فكريّةً شاملةً لإعادة بناءِ المنهجِ المعرفيّ في الثقافة العربيّة، انطلاقًا من تحليلٍ تاريخيّ نقديّ لبنية هذا العقل وتكوينه التراثيّ. ويُشتقّ من هذه الفرضيّة الفرضيّات التالية:

- الفرضيّةُ الأولى: هيمنةُ النظامِ البيانيّ في العقلِ العربيّ أدّت إلى جمودٍ فكريّ وعرقلةِ تطورِ الفكرِ العربيّ الحديثِ.
- الفرضيّةُ الثانية: نقدُ الجابريّ للتراثِ العربيّ يعزّز من قدرةِ الفكرِ العربيّ على الاستجابةِ لتحدياتِ العصرِ الحديثِ من خلال إعادةِ تأويلِ النصوصِ في سياقِها التاريخيّ.
- الفرضيّةُ الثالثة: إدماجُ الفكرِ النقديّ مع الحفاظِ على الهويّةِ الثقافيةِ يساعدُ في تجاوز التبعيةِ الثقافيّةِ للغربِ وتعزيزِ قدرةِ العالمِ العربيّ على تطويرِ نماذجَ حديثةٍ تواكبُ المتغيراتِ العالميةَ.

مصطلحات الدّراسة:

التّراث: "ورثَ الوارثُ: صفةٌ من صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو الباقي الدائمُ الذي يرثُ الخلائقَ، ويبقى بعدَ فنائِهم، واللهُ عزَّ وجلَّ يرثُ الأرضَ ومن عليها، وهو خيرُ الوارثينَ. أي: يبقى بعدي فناءِ الكلِّ، ويفنى من سواه، فيرجعُ ما كانَ ملكَ العبادِ إليه وحدهُ لا شريكَ له. ورثَه مالهُ ومجدهُ، وورثَه عنه ورثًا ورثةً ووراثةً وإراثةً. ورثَ فلانٌ أباه يرثُه وراثةً وميراثًا وميراثًا. وأورثَ الرجلُ ولده مالًا إراثًا حسنًا. ويقال: ورثتُ فلانًا مالًا أرثَه ورثًا وورثًا إذا ماتَ مورثُك، فصار ميراثُهُ لك. وقال الله تعالى إخبارًا عن زكريا ودعائه إياه: {يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} (سورة مريم، 6)

والورثُ والإرثُ والتراثُ والميراثُ: ما ورث؛ وقيل: الإرثُ والميراثُ في المالِ؛ والإرثُ في الحسبِ. وورثَّ في ماله: أدخلَ فيه من ليس من أهلِ الوراثةِ. وتوارثناه: ورثه بعضنا بعضًا قديمًا. ويقال: ورثتُ فلانًا من فلانٍ أي جعلتُ ميراثَه له. وأورثَ الميتُ وارثَه مالهُ. أي: تركه له. التراثُ: ما يخلفه الرجلُ لورثتِه، والتاءُ بدلٌ من الواو. والإرثُ أصلهُ من الميراثِ، إنما هو ورثٌ، فقلبتِ الواو ألفًا مكسورةً لكسرةِ الواو. أورثَه الشيءُ: أعقبه إياه. وبنو ورثة: ينسبونَ إلى أمّهم. ورثان: موضع." (Ibn Manzur, 1993, pp. 728-729)

الإطار النّظريّ والدّراسات السابقة:

الإطار النظري:

أولًا: مفهوم التراث

لكلمة التراثِ مفهومٌ خاصٌّ ومحدّدٌ جدًّا وغيرُ منذ زمنٍ طويلٍ، بل يمكنُ القولُ منذ البدايةِ إنّ مضمونَ هذه الكلمةِ في ذهنِ العربِ منذ القرنِ العشرينَ حملت مضامين إيديولوجيَّةً في الفكرِ العربيّ المعاصرِ، فالمطلعُ على معنى مفهومها فسيجدُها بطبيعةِ الحالِ مشتقةً من فعلِ ورثَ، ومرتبطةً دلاليًّا بالإرثِ والميراثِ والتركةِ والحسبِ، وما يتركه الرجلُ الميتُ، ويخلفه لأولادِه.

وفي هذا الإطارِ، "ففي بحثِهِ الدلاليّ اللغويّ لكلمةِ "تراثٍ"، يَرتَئِي الجابريُّ أنَّهُ: "لا (كلمة) تُراثٍ، ولا (كلمة) ميراثٍ، ولا أيًّا من مُشتقّاتِ مادّةِ (وَرِثَ)، قد استُعمِلَ قديمًا في معنى المُورُوثِ الثقافيّ والفِكريّ، وهوَ المعنى المُعطى لكلمةِ "تراثٍ" في خِطابِنا المعاصر." (Al-Jabri, 1991, p. 22)

وحتّى في اللُّغاتِ الأجنبيّةِ المُعاصرةِ لتعريفِ كلمةِ "تراث"، يَلحَظُ الجابريُّ أنَّ كلمتَي Héritage وPatrimoine لا تَحمِلانِ المضامينَ نَفسَها التي تَحمِلُها كلمةُ "تراثٍ".

ولكن، حتّى في هذه الحالةِ، يَظَلُّ معنى الكلمةِ فَقيرًا جدًّا، بالقياسِ إلى المعنى الذي تَحمِلُه كلمةُ "تراثٍ" في الخطابِ العربيّ المُعاصرِ.

إنّ الشُحنةَ الوجدانيّةَ والمضمونَ الأيديولوجيَّ المُرافِقَينِ لمفهومِ "التراثِ" كما نَتداوَلُه اليومَ، تَخلُو منهُما تمامًا مقابِلاتُ هذه الكلمةِ في اللُّغاتِ الأجنبيّةِ المُعاصِرةِ التي نَتعامَلُ معها." (Al-Jabri, 1986, pp. 72-73)

يقدّم الجابري تعريفًا للتراث حيث يعرّفه"الموروث الثقافيّ والفكريّ والدينيّ والأدبيّ والفنيّ "(Al-Jabri, 1991, p. 23)

انطلاقًا من رؤيتِهِ الخاصّةِ، فقد نهجَ تعريفًا غيرَ مسبوقٍ ومألوفٍ، فالهدفُ الذي يسعى إليه الجابريُّ ليس من أجلِ التراثِ في حدّ ذاتِه، وإنّما في سبيلِ الحداثةِ التي يتطلّعُ إليها، وبذلك يلاحظُ الجابريُّ ضرورةَ أن تُبنَى الحداثةُ من داخلِ التراثِ حيثُ "لا سبيلَ إلى التجديدِ والتحديثِ - ويقصدُ العقلَ العربيَّ - إلّا من داخلِ التراثِ نفسهِ بوسائِلِهِ الخاصّةِ وإمكانيّاتِه.

الدّراسات السّابقة:

دراسة آليات نقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري: "دراسة عقدية تحليلية نقدية": البارقي، إدريس علي محمد: التّي هدفّت إلى تحليلِ مشروعِ محمّد عابد الجابريّ الفكريّ الحداثيّ من خلالِ تتبّعِ نشأتِهِ وسيرتِهِ العلميّةِ والثقافيّة، ثمَّ الوقوفِ على أبرزِ مرتكزاتِهِ كالعقلِ والنقدِ والمنهجيّةِ. ويعتمدُ الباحثُ منهجًا يجمعُ بين التحليلِ والنقدِ الموضوعيّ، ساعيًا إلى توضيحِ رؤيةِ الجابريّ بصورةٍ نزيهةٍ ومتجرّدة، تمهيدًا لنقدِ محدوديّةِ منهجيّتِهِ وصعوبةِ تطبيقِها في دراسةِ التراثِ العربيّ والإسلاميّ.

وقد أظهرَ البحثُ كيف برزَ مشروعُ نقدِ العقلِ العربيّ في سياقِ الفكرِ النهضويّ العربيّ ما بعدَ نكسةِ حزيرانَ 1967، حيثُ عادَ المفكّرونَ إلى التراثِ من منظورٍ فلسفيٍّ معاصرٍ، محاولينَ جعلَهُ منطلقًا للحداثةِ والتجدّدِ الحضاريّ. كما أبرزَ البحثُ تأثيرَ الخلفيّاتِ الاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والتعليميّةِ في تكوينِ شخصيةِ الجابريّ وفي صياغةِ مشروعِه الفكريّ، خاصّةً من حيثُ ارتباطُهُ بالماديّةِ التاريخيّةِ والنزعةِ القوميّة.

واستخلصَ الباحثُ أنَّ أدواتِ الجابريّ المنهجيّةَ، على الرغمِ من استنادِها إلى منجزاتِ الحداثةِ، تبقى محلَّ مساءلةٍ نقديّةٍ لقصورِها عن الإحاطةِ الشاملةِ بتعقيداتِ التراثِ ومناهجِ قراءتِه في ضوءِ تنوّعِه المعرفيّ والأخلاقيّ.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

منهج الدّراسة:

وقد توزّع المنهج المعتمد على ثلاثة أبعاد متكاملة:

- **أولًا، التحليل الفكري: حيث عملتُ على تفكيك البنية النظرية التي انبنى عليها مشروع الجابري، من خلال تتبّع المفاهيم المركزية في كتاباته، ورصد العلاقة بين المقولات الأساسية في مشروعه، مثل: "العقل العربي"، و"القطيعة الإبستمولوجية"، و"البنية المعرفية"، و"النظام البياني والبرهاني والعرفاني"، وذلك ضمن منظور نقدي يتفاعل مع النصوص و يستبطن منطقها الداخلي.**
- **ثانيًا، المقاربة التاريخية: إذ سعيتُ إلى contextualization أو تأطير مشروع الجابري تاريخيًّا وفكريًّا، بالعودة إلى السياقات السياسية والثقافية التي وُلد فيها هذا المشروع، وما استدعاه من أسئلة النهضة والتحديث، متّخذة من التاريخ خلفيّة تفسيرية لفهم دوافع المشروع واتجاهاته، دون السقوط في حتميّات التفسير أو اختزال الفكر في شرطه الزمني.**
- **ثالثًا، المنهج المقارن جزئيًّا: تمّ توظيفه على نحوٍ موضعي عند الحاجة، من خلال مقارنة مشروع الجابري بأعمال مفكرين آخرين في قضايا التراث والعقل العربي، كمحاولة لتمييز خصوصيّته، وإبراز مواطن الاختلاف أو التلاقي مع أطروحات مماثلة، لا سيما في ما يتّصل بعلاقة العقل بالتراث من جهة، وبالحداثة من جهة أخرى.**

وقد حرصتُ في هذه المقاربة المنهجية على الجمع بين التحليل النصي والقراءة النقدية، بما يسمح ببلوغ فهم أعمق لبنية المشروع الجابري وموقعه ضمن خارطة الفكر العربي المعاصر، مع الالتزام بالحياد العلمي، وتجنّب الأحكام الجاهزة أو الانحيازات المسبقة.

تحليل الدّراسة:

الفصل الأول: بنية العقل العربيّ وتكوينه

لقد سارَ منهج الجابري نحو التخصيص فأصبح الموضوع الأساسيّ فيه هو البحث عن رؤىً جديدةً تتعلّق بمستوىً واحد وهو التعامل مع التراث الثقافيّ بصفة عامّة والفلسفي بصفةٍ خاصّة والبحث عن النقاط التي تقود إلى فهم التراث من أجل استثماره في إيجاد موقفٍ حازمٍ من قضايا الفكر الراهن.

يلحظُ الجابري أنّ إشكال التراث يحتلّ المركز بين الإشكالات المطروحة في الفكر العربيّ المعاصر، لذلك أتت معظم اتجاهات دراساته نحو رسم قاعدةٍ عريضةٍ لموقفه من التراث.

لقد تَصَدّى العديدُ من المُفكّرينَ المعاصرينَ لتعريفِ وتوضيحِ مفهومِ "التراث"، أركون، مثلًا، يُعرّفُه ويُصوّغُه على الشّكلِ الآتي: "إنّ التراثَ - أيّ تراثٍ- ما هو إلّا مجموعةٌ متراكمةٌ متلاحقةٌ من العصورِ والحِقَبِ الزمنيّةِ.".

ويُضيفُ أنّ هذهِ القُرونَ المُتطاولةَ مُتراتبةٌ فوقَ بَعضِها البعضِ، كمُطبقاتِ الأرضِ الجيولوجيّةِ أو الآركيولوجيّةِ، وهو يرى أيضًا أنّ هذا التراثَ هو فاعلٌ حيٌّ كأصلٍ للوَحدةِ والاستمراريّةِ." (Arkoun, 1987, p. 10)

ويَبني الجابريُّ على رؤًى سابقةٍ للمفكّرينَ الإسلاميينَ الذين أدركوا أهميّةَ التعاملِ مع التراثِ بصورةٍ نقديّةٍ، مثلِ ابنِ رشدٍ، الذي دعا إلى "التوفيقِ بينَ الشريعةِ والفلسفةِ" دونَ القَبولِ بتفاسيرَ جامدةٍ للنصوصِ.

وفي كتابهِ تكوينُ العقلِ العربيّ، يُقدّمُ الجابريُّ رؤيةً شاملةً لكيفيّةِ تَشكُّلِ العقلِ العربيّ عبرَ مراحلَ تاريخيّةٍ متعدّدةٍ ومُختلفةٍ، حيثُ يرى الجابريُّ أنّ العقلَ العربيَّ قد تأثّر وتغيّرَ بشكلٍ كبيرٍ بالعواملِ المُحيطةِ به كافّةً -الثقافيّةِ والسياسيّةِ والدينيّةِ- التي سادت في العالمِ الإسلاميّ آنذاك، ممّا أدّى إلى تشكيلِ بُنيةٍ معرفيّةٍ معيّنةٍ ما زالت تَهيمنُ على الفكرِ العربيّ حتّى الآن.

إنّ العقلَ العربيَّ الذي يَعنيه الجابريُّ هو "العقلُ الذي تَكوّنَ وتَشكّلَ داخلَ الثقافةِ العربيّةِ، وفي نفسِ الوقتِ الذي عمِلَ هو نفسُهُ على إنتاجِها وإعادة إنتاجها". (Al-Jabri, 2009, p. 5) وبذلك نلحظُ أنّ العقل الذي يتحدّث عنه ليس عقلًا حاضرًا وجاهزًا ومهيئًا أو معلّبًا، بل هو عقلٌ يقيم علاقة جدلية مع الثقافة التي ينتجها.

يرى الجابريُّ أنّ معالجةَ إشكاليّةِ التّأخّرِ التاريخيّ العربيّ والتّأسيسَ لنهضةٍ عربيّةٍ جديدةٍ، لا يكونانِ بوَضعِ التراثِ في المتحفِ والتّعاملِ معه كشيءٍ مَضى ولا جَدوى من استحضارِهِ أو الرّجوعِ إليه، لأنّ ذلك غيرُ مُمكنٍ، إذْ إنّ كلَّ شعبٍ وكلَّ أمّةٍ تُفكّرُ بتراثِها لا بتراثِ غيرِها.

ويستندُ الجابريُّ في ذلك إلى التاريخِ ومَنطقِ النّهضاتِ الكُبرى، رغمَ اختلافِ "الميكانيزماتِ" التي تُميّزُ كلَّ نهضةٍ عن الأخرى، فكلُّ النّهضاتِ التي شَهِدَها التاريخُ قد عبّرتْ عن نفسِها أيديولوجيًّا ومعرفيًّا بالعودةِ إلى الأصولِ، والانتظامِ في التراثِ.

يقولُ الجابريُّ: "لِنُبادِرْ إلى القولِ أوّلًا، إنّه ليس هناكَ قانونٌ عامٌّ واحدٌ يُعبّرُ عن ميكانيزماتِ النهضةِ في كلِّ العصورِ والأوطانِ، ولكنْ معَ ذلك، يُمكنُ للمرءِ أن يُلاحِظَ بسهولةٍ أنّ جميعَ النّهضاتِ التي نَعرِفُ تفاصيلَ عنها قد عبّرتْ -إيديولوجيًّا- عن بدايةِ انطِلاقِها بالدّعوةِ إلى الانتظامِ في تراثٍ، وبالضّبطِ إلى العودةِ إلى الأصولِ، ولكنْ لا بوصفِها أساسَ نهضةٍ مضتْ يجبُ بَعثُها كما كانتْ، بل من أجلِ الارتكازِ عليها في نَقدِ الحاضرِ ونقدِ الماضي القريبِ، المُلتصقِ به، المُنتجِ له، المسؤولِ عنه، والقفزِ إلى المستقبل" (Al-Jabri, 2005, p. 21).

وقد آثَرَ الجابريُّ استعمالَ مصطلحِ "العقلِ العربيّ" بدلًا من "العقلِ الإسلاميّ" ليَحصُرَ نقدَه في الجانبِ الإبستمولوجيّ المعرفيّ المحضِ، دونَ التطرُّقِ إلى النّقدِ الإيديولوجيّ، أي الدّينيّ العقيديّ اللاهوتيّ.

يُقسِّمُ الجابريُّ العقلَ العربيَّ إلى ثلاثِ أنظمةٍ معرفيّةٍ أساسيّةٍ: "النظامُ البيانيُّ، والنظامُ البرهانيُّ، والنظامُ العرفانيُّ." ولكلِّ واحدٍ من هذه الأنظمةِ تأثيرُهُ الخاصُّ على تكوينِ العقلِ العربيّ:

- **النظامُ البيانيُّ:**

يَرتكزُ هذا النظامُ على النّصوصِ الدينيّةِ والفقهيّةِ، حيثُ يعتمدُ على التّفسيرِ اللغويّ والبلاغيّ للنّصوصِ، دونَ مراعاةٍ للجوانبِ العقليّةِ أو الفلسفيّةِ.

يَعتبرُ الجابريُّ أنّ هذا النظامَ هو السائدُ في الفكرِ العربيّ، وهو المسؤولُ عن هيمنةِ التّفكيرِ التقليديّ.

ويعتمدُ على منهجيّةِ قياسِ الغائبِ على الشّاهدِ في إنتاجِ هذه المعرفة، ويُسمّى هذا النظامُ بـ"المعقولِ الدينيّ المعرفيّ".

- **النظامُ البرهانيُّ:**

يُجيدُ هذا النظامُ الفلسفةَ العقلانيّةَ التي تأثّرتْ بالفكرِ اليونانيّ، وخاصةً فلسفةَ أرسطو.

يُعَدُّ ابنُ رشدٍ من أبرزِ ممثّلي هذا النظامِ، حيثُ سعى إلى تأسيسِ المعرفةِ على أُسسٍ عقليّةٍ ومنطقيّةٍ. ويعتمدُ على منهجيّةِ الكشفِ والاتّصالِ، ويُسمّى هذا النظامُ بـ"اللامعقولِ العقليّ".

- **النظامُ العرفانيُّ:**

يَتعلّقُ هذا النظامُ بالفكرِ الصّوفيّ والفلسفةِ الإشراقيّةِ، حيثُ يعتمدُ على الحدسِ والكشفِ الرّوحيّ كوسيلةٍ للوصولِ إلى المعرفة.

يرى الجابريُّ أنّ هذا النظامَ، رغمَ تأثيرِه المحدودِ، يُمثّلُ جزءًا من البنيةِ المعرفيّةِ للعقلِ العربيّ. ويؤسّسُه النظامُ المعرفيُّ البرهانيُّ، إذ يعتمدُ على الملاحظةِ التّجريبيّةِ والاستنتاجِ العقليّ كمنهجٍ. ويُسمّى هذا النظامُ بـ"المعقولِ العقليّ التجريبيّ" "العقليّ" (Al-Jabri, 2009, pp. 333-334).

وإنّ لهذه الأنظمة تأثيرٌ كبيرٌ على تطوّر العقل العربيّ حيث يعتبر الجابري أن هيمنة النظام البيانيّ على العقل العربيّ أدّت بشكلٍ مباشرٍ إلى جمود فكري، حيث أُهمِلت وغفلت الأنظمة الأخرى التي تعتمد على العقلانية والتفكير النقدي. وقد أسفرَ عن ذلك نمط من التفكير يغلب عليه الطابع التقليديّ، مما أعاق تطوّر الفكر العربي وجعله غير قادر على الاستجابة للتحديات المعاصرة الراهنة.

يقول محيي الدّين صبحي: "بعد أن فصّل الجابريُّ في التراثِ العربيّ بين النظامِ البيانيّ والنظامِ العرفانيّ والنظامِ البرهانيّ، صار لدى الدّارسِ مفاهيمُ واضحةٌ عن التراثِ، وصار له خريطةٌ بيّنةٌ يرى من خلالها أين يسيرُ الآخرون، وكيف؟ ولماذا؟

لذلك، فالمثقّفُ العربيُّ الذي يتبنّى رؤيةَ الجابريّ، سوف يسهلُ عليه تحديدُ موقعِه من التراثِ، سواءٌ أكان متّفقًا مع نتائجِ الجابري أم لا.

فالاختلافُ في التفاصيلِ لا يُضيرُ الرؤيةَ الكليّةَ المنهجيّة.

من هنا، فإنّ كتاب "نقد العقل العربيّ" الذي يُدخِلُنا في خضمّ التراث، يُساعدنا في الوقتِ ذاته على الخروجِ منه والإشرافِ عليه من بعيد.

هذا الإنجازُ يُعدُّ قفزةً معرفيّةً عظيمةً، تُساعد العقلَ العربيَّ على الاستقلالِ التدريجيّ عن تراثِه، والاتصالِ الواعي به، في سبيل تدشين عصرِ تدوينٍ جديد.

إنّ عمليّةَ التفكيرِ النقديّ في تراثِنا العربيّ الإسلاميّ، والدعوةَ إلى الاستقلالِ عنه، لا تعني مطلقًا بخسَهُ حقَّهُ من الإعلاءِ، لأنّه يُمثّلُ حضارتَنا العظيمةَ في الماضي أوّلًا، ولا تعني ثانيًا التقليلَ من دورِه أو الإخلالَ بهذا الدورِ في دفعِ عجلةِ الفكرِ الإنسانيّ نحو التقدّمِ والتحرّر.

بل إنّ نقدَ العقلِ العربيّ هو تشديدٌ على دعوةِ العربِ إلى الإسهامِ في إنشاءِ حضارةٍ عربيّةٍ علميّةٍ علمانيّةٍ، تكونُ أكثرَ تراحُمًا وعدالةً من الحضارةِ الحالية.

ونحن نشكرُ المفكّرَ العربيَّ المبدعَ محمّد عابد الجابري على سعةِ صدرِه، وعمقِ رؤيتِه، وجرأتِه في فتحِ هذا الملفِّ الحضاريّ الحاسم، بكلّ موضوعيّةٍ ومسؤوليّةٍ فكرية، وثراء أجوبته" (Al-Jabri, 1991, p. 323).

لقد كان لنقدِ محمّد عابد الجابري للعقلِ العربيّ تأثيرٌ عميقٌ، وإن كان مبطّنًا، على الفكرِ العربيّ المعاصر، إذ أسهم، واستطاع بجهده الفكريّ الواضح والرؤيويّ، في إعادة تشكيلِ المنظومةِ الفكريّةِ والنقديّة في العالمِ العربيّ المعاصر، من خلال تقديمِه مشروعًا نقديًّا متكاملًا يُركّز على التفاعلِ بين التراثِ والحداثة.

وإنّ تحليلَ الجابريّ للبنيةِ المعرفيّةِ العربيّة، وتحديدًا الأنظمة الثلاثة (البيانيّ، البرهانيّ، العرفانيّ)، قد فتح آفاقًا جديدةً أمام المفكّرين العرب لفهمِ واقعِهم، واستكشافِ سُبلِ تجاوزِ التحدّياتِ الفكريّة التي تواجههم، ممّا جعل مشروعَه مرجعًا تأسيسيًّا لكلِّ تفكيرٍ نقديّ يسعى إلى التحديث من داخل المنظومة الثقافيّة العربيّة.

الفصل الثاني: محمد عابد الجابري: حياته ونتاجه الفكري ومرجعياته

يُعدّ محمد عابد الجابري أحد أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين، وقد ارتبط اسمه بمشروع فكري شامل حمل عنوان نقد العقل العربي، وهو المشروع الذي حاول من خلاله تفكيك بنية العقل العربي عبر قراءة نقدية للتراث واستلهام أدوات الحداثة الغربية. لم يكن الجابري مجرد باحث أكاديمي يكتب في الفلسفة والتاريخ، بل كان مثقفًا ملتزمًا بالقضايا المجتمعية والسياسية، حيث جعل من الفكر وسيلة لفهم واقع العرب وإعادة بناء علاقتهم بتراثهم وبالحداثة في آن واحد (الشيخ، 2010، صفحة 51).

النشأة والتعليم:

وُلد الجابري في مدينة فجيج شرق المغرب عام 1936، في بيئة تقليدية يغلب عليها الطابع الديني والزاوي، حيث تلقى في طفولته تعليمه الأولي في الكتاتيب، فحفظ القرآن الكريم وتشرّب مبادئ اللغة العربية والثقافة الإسلامية التقليدية. لكن مساره لم يتوقف عند هذا الحد، إذ انتقل لاحقًا إلى التعليم العصري الذي فرضه الاستعمار الفرنسي، فجمع منذ بداياته بين ثقافتين مختلفتين: ثقافة دينية تقليدية وأخرى حديثة استعمارية. هذا الازدواج التعليمي سيترك أثرًا عميقًا في شخصيته، حيث ظلّ يسعى إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وإلى تحرير العقل العربي من هيمنة النقل والاتباع (عماري، 2010، صفحة 15).

بعد إتمام دراسته الثانوية، انتقل الجابري إلى جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث درس الفلسفة وتدرّج فيها إلى أن نال درجة الدكتوراه سنة 1970. أطروحته الأولى تناولت موضوع "منهجية ابن خلدون"، وقد كشفت عن اهتمامه المبكر بالتاريخ والفكر الإسلامي، وخصوصًا بالجانب المنهجي عند المفكرين المسلمين. هذا الاختيار كان مؤشرًا على المنحى الذي سيسلكه لاحقًا في مشروعه الكبير حول نقد العقل العربي، إذ سيجعل من ابن خلدون وابن رشد ركيزتين أساسيتين في مشروعه الفكري (العجارمة، 2017، صفحة 88).

المسار الأكاديمي والمهني:

شغل الجابري منصب أستاذ للفلسفة والفكر الإسلامي في كلية الآداب بجامعة الرباط، حيث درّس أجيالًا من الطلبة وأسهم في تكوين نخبة فكرية مغربية وعربية. كما تولى مهام في وزارة التربية والتعليم في فترة من حياته، وساهم في صياغة المناهج التعليمية المغربية، وهو ما يعكس اهتمامه بالبعد التربوي إلى جانب البعد الفلسفي النظري (الشياب، 2014، صفحة 102).

لم يقتصر نشاطه على الجانب الأكاديمي فحسب، بل كان حاضرًا في الصحافة والندوات والملتقيات الفكرية، حيث طرح قضايا الإصلاح السياسي والديمقراطية والتحديث الثقافي. هذا الحضور جعله واحدًا من أكثر المفكرين العرب تأثيرًا في جيله، خصوصًا في الثمانينيات والتسعينيات، إذ شكّل مرجعًا أساسيًا لكل باحث في التراث والفكر السياسي العربي (زيغور، 2016، صفحة 64).

المؤثرات الأولى في تكوينه:

يمكن القول إن الجابري تأثر في بداياته بثلاثة عناصر أساسية:

- **البيئة الدينية التقليدية في فجيج، حيث عايش التصوف والفقه الإسلامي، وهو ما جعله أكثر قربًا من التراث.**
- **المدرسة الاستعمارية الفرنسية، التي فتحت له نافذة على الفلسفة الغربية ومناهجها العقلانية والنقدية.**
- **العمل السياسي والفكري في المغرب بعد الاستقلال، حيث انخرط في النقاشات الكبرى حول الدولة والهوية والتحديث.**

هذا التفاعل بين التراث المحلي والفكر الغربي منح مشروعه الفكري طابعًا مزدوجًا، فهو نقدي من جهة، وتجديدي من جهة أخرى. فقد سعى إلى إعادة قراءة التراث بعيون حديثة، وفي الوقت ذاته حاول الاستفادة من منجزات الفلسفة الغربية دون الوقوع في الاستلاب (الجابري، 1991، صفحة 9).

المنطلقات الفكرية:

انشغل محمد عابد الجابري منذ بداياته الفكرية بسؤال النهضة، وهو السؤال نفسه الذي شكّل هاجسًا لعدد كبير من رواد الإصلاح العربي منذ القرن التاسع عشر. غير أن خصوصية الجابري تكمن في كونه لم يكتفِ بطرح سؤال: لماذا تأخرنا؟، بل ركّز على أدوات التفكير نفسها التي حكمت العقل العربي عبر التاريخ، محاولًا الكشف عن بنياته الداخلية وآليات اشتغاله (الجابري م.، العقل السياسي العربي، 1990، صفحة 15). وبذلك انفتح مشروعه على البعد الإبستمولوجي، مستفيدًا من أطروحات غاستون باشلار ومفهوم القطيعة المعرفية عند ميشيل فوكو، دون أن يفقد صلته بجذوره الثقافية العربية الإسلامية.

مؤلفاته الأساسية:

يُعدّ مشروع نقد العقل العربي أهم إنجاز للجابري، إذ شكّل سلسلة فكرية متكاملة حاول فيها تحليل البنية المعرفية للعقل العربي من خلال أربعة أجزاء:

- تكوين العقل العربي (1984) – ركّز فيه على الجذور الأولى للتفكير العربي في بيئته الثقافية والسياسية. (الجابري م.، 1984).
- بنية العقل العربي (1986) – تناول فيه المرجعيات التي حكمت منظومة التفكير العربي الإسلامي. (الجابري، 1986).
- العقل السياسي العربي (1990) – بحث في الأنساق الثقافية والسياسية التي صاغت مفهوم السلطة والشرعية. (الجابري، 1990).
- العقل الأخلاقي العربي (2001) – قدّم فيه قراءة نقدية للقيم والمعايير التي حكمت السلوك العربي عبر التاريخ. (الجابري، 2001).

إلى جانب هذه السلسلة، أصدر كتبًا مؤثرة مثل نحن والتراث (1980)، والتراث والحداثة (1991)، والدين والدولة وتطبيق الشريعة (1996)، حيث تناول فيها قضايا الإصلاح الديني والديمقراطية وحقوق الإنسان. هذه المؤلفات لم تقتصر على الجانب الأكاديمي، بل دخلت في صلب النقاشات الفكرية والسياسية في العالم العربي (الهواري، 2011، صفحة 33).

مرجعياته الفكرية:

اعتمد الجابري على مزيج من المرجعيات؛ فمن جهة تأثر بالفكر النقدي الغربي (باشلار، فوكو، ألتوسير)، ومن جهة أخرى انطلق من قراءة معمّقة للتراث العربي الإسلامي، خصوصًا الفارابي، وابن رشد، والغزالي، وابن خلدون. وقد اعتبر ابن رشد نموذجًا للعقلانية العربية الإسلامية التي ينبغي استعادتها لتأسيس نهضة عربية جديدة، بينما رأى في الغزالي رمزًا للنسق البياني الذي طبع الفكر العربي بنزعة بيانية – عرفانية حالت دون انفتاحه على العقلانية الصارمة (الجابري م.، 1991، صفحة 64).

إسهاماته في قضايا النهضة والديمقراطية:

لم يكن مشروع الجابري محصورًا في الأكاديمية، بل كان له حضور بارز في قضايا النهضة والديمقراطية. فقد دعا إلى ضرورة الفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي دون الوقوع في العلمنة المتطرفة، وأكد على أن الديمقراطية ليست مجرد خيار سياسي، بل شرط أساسي لأي مشروع نهضوي عربي (الشيخ ، 2005، صفحة 122). كما اعتبر أن تجديد الفكر العربي لا يمكن أن يتم إلا من خلال نقد التراث نقدًا إبستمولوجيًا، أي عبر تفكيك بنياته وآلياته الداخلية بدل الاكتفاء بالاجتهادات الجزئية أو التوفيقية.

أثره في الفكر العربي المعاصر:

أثار مشروع الجابري جدلًا واسعًا، إذ اعتبره البعض محاولة تأسيسية لإحياء العقلانية الرشدية، بينما انتقده آخرون لكونه أسقط مقولات إبستمولوجية غربية على التراث العربي بطريقة غير متوازنة (العجارمة، 2012، صفحة 102). ورغم هذا الجدل، يبقى تأثيره حاضرًا بقوة في الجامعات العربية، حيث تُدرّس مؤلفاته في أقسام الفلسفة والفكر الإسلامي، ويُنظر إليه باعتباره أحد أبرز دعاة القراءة النقدية للتراث في العصر الحديث.

يمكن القول إن محمد عابد الجابري مثّل حلقة مركزية في الفكر العربي المعاصر، إذ جمع بين الاهتمام بالتراث والوعي النقدي المعاصر، وسعى إلى إعادة بناء العقل العربي على أسس عقلانية حديثة تستلهم من ابن رشد ومنهجيات الفكر الغربي النقدي معًا. وبذلك أسس لمشروع لم يكتمل بعد، لكنه فتح آفاقًا جديدة للنقاش حول مستقبل الثقافة العربية وقضايا النهضة والديمقراطية.

الفصل الثالث: نقد الجابري للتراث و قضايا الهويّة في فكره

كان الجابريّ ناقدًا صارمًا للتراثِ العربيّ، لكنّه لم يكن معاديًا له، فقد كان يؤمن بأنّ التراثَ يمكن أن يكونَ مصدرًا للإلهام، إذا ما تَمّت مراجعته نقديًّا وفُهِمَ في سياقِه التاريخيّ. ولذلك، دعا الجابريّ إلى "فصلِ الماضي عن الحاضر"، معتبرًا أنّ الاستمراريّةَ مع الماضي يجب أن تكون مشروطةً بإعادةِ تأويله وتكييفه مع متطلّبات العصر.

وإنّه لا بدّ من الامتلاءِ بالثقافةِ العربيّة والتراثِ العربيّ الإسلاميّ عند الخوضِ في الحداثةِ الأوروبيّةِ الحديثة وقضاياها، وإمكانيّةِ تبنّيها أو اقتباس شيءٍ منها. فالامتلاءُ بالثقافةِ العربيّة الإسلاميّة، وهي ثقافتُنا القوميّة، هو امتلاءٌ بالهويّة، وبدون هويّةٍ ممتلئةٍ بمقوّماتها، يكون الانفتاحُ على الثقافاتِ الأخرى، خاصّةً المهيمنة منها، مدعاةً للانزلاق نحو الوقوع فريسةً للاستلاب والاختراق" (Al-Jabri, 2000, p. 177).

وتبقى هناك مسألةٌ جوهريّةٌ وعمليّةٌ مُلحّة في فكرِ الجابريّ، وهي ضرورةُ التأسيسِ لمنطلقٍ نهضويٍّ جديدٍ على المستوى المنهجيّ والمعرفيّ والوعي التاريخيّ. فالنّهضةُ عند الجابري لا يمكن أن تُبنى على التقليد أو النقل أو الاتّكاء على نماذجَ جاهزة، بل على نقدٍ جذريٍّ شاملٍ للأدواتِ والمفاهيم والآليّات التي يُنتج بها العقلُ العربيّ معارفهُ.

ويقول الجابريّ في هذا السياق: "إنّ الحاجةَ تدعو العربَ إلى تدشينِ عصرِ تدوينٍ جديد، إلى تدشينِ منطلقٍ نهضويٍّ جديدٍ يبدأ، هذه المرّة، لا من الدعوةِ إلى تبنّي نموذجٍ معيّن أو الاحتماءِ به، بل من نقدِ كلِّ النماذج، لا، بل من نقدِ السلاح، سلاحِ العقل العربيّ.

وهذا النقد لا يهدف إلى الهدم، بل إلى تحريرِ الفكر العربيّ من القيود التي كبّلتهُ قرونًا، وإعادةِ بنائهِ على أسسٍ عقلانيّةٍ نقديّةٍ منفتحةٍ على الذاتِ والآخر، تكون قادرة على الإسهام في بناء مشروعٍ حضاريّ حديث، نابع من داخل الثقافة العربيّة الإسلاميّة، ومؤهَّل للتفاعل الخلّاق مع متغيّرات العصر ذاته" (Al-Jabri, 2005, p. 48).

يرى محمّد عابد الجابري أنّ التراث العربيّ الإسلاميّ يحتوي على عناصرَ بنيويّةٍ تُعطّل إمكاناتِ التقدّمِ الفكريّ والمعرفيّ، وأنّ تجاوزَ هذه العناصرِ لا يتمّ إلّا من خلالِ الفهمِ النّقديّ العميقِ لها. فالتراثُ، كما يراهُ الجابري، ليس كيانًا مُقدّسًا أو ثابتًا، بل هو منظومةٌ من النّصوصِ والمفاهيمِ التي خضعت لتراكماتٍ تاريخيّةٍ وتأويلاتٍ متباينةٍ، وبالتالي فهو قابلٌ لإعادةِ التأويلِ والتكييفِ بما يتناسبُ مع متطلّباتِ العصرِ.

في كتابه "التراث والحداثة"، يؤكّدُ الجابري أنّ التعاملَ مع التراثِ يجب أن يكون بمنهجٍ نقديٍّ تحليليٍّ، لا بمنطقِ التمجيدِ أو الرّفضِ الكُلّيّ. فالدعوةُ إلى التجديدِ عند الجابري تقومُ على أساسِ إعادةِ قراءةِ النّصوصِ التراثيّةِ، وعلى رأسِها النّصوصُ الدينيّةُ (القرآنُ والسنّةُ)، ضمن سياقاتِها التّاريخيّةِ والمعرفيّةِ، من غير أن تُفقَد طابعَها الإيمانيَّ أو رمزيّتَها الدينيّةَ.

ويُبيّنُ الجابري أنّ النصوصَ الدينيّةَ، على مرّ العصورِ، قد خضعت لتأويلاتٍ متعدّدةٍ، استُخدمت في كثيرٍ من الأحيانِ لتبريرِ السّلطويّةِ والجُمودِ الفكريّ. لذا، فإنّ إعادةَ قراءتِها من منظورٍ عقلانيٍّ نقديٍّ يُتيحُ إمكانيّةَ تحريرِها من التّوظيفِ الإيديولوجيّ، ويفتحُ المجالَ أمامَ توظيفِها في تحفيزِ العقلِ العربيّ على التّفكيرِ الحرّ والمستنيرِ.

ورغمَ نقدِه الجذريّ للتراثِ، لم يكن الجابري من دعاةِ القطيعةِ مع الموروثِ، ولا من أنصارِ التّقليدِ الأعمى للنموذجِ الحداثيّ الغربيّ. بل كان حريصًا على التأسيسِ لحداثةٍ عربيّةٍ قائمةٍ على الاستفادةِ من مناهجِ العقلانيّةِ الغربيّةِ الحديثةِ، ولكن في إطارِ الهويّةِ الثقافيّةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ، التي يجب أن تكون ممتلئةً بذاتِها، واعيةً بتاريخِها، لتفادي الوقوعِ في فخّ الاستلابِ الثقافيّ.

ومن أبرزِ ما يميّزُ مشروعَ الجابري، قراءتُه النّقديّةُ للفلسفةِ الإسلاميّةِ بفرعيها: المشرقيّ والمغربيّ، حيثُ سعى إلى تحليلِها من خلالِ تفكيكِ إشكاليّاتِها الفكريّةِ، واستكشافِ خلفيّاتِها الإيديولوجيّةِ. وتتجلّى هذه الرّؤيةُ في قراءتِه لفلسفةِ ابنِ طفيلٍ، التي اعتبرَها نموذجًا للفكرِ المغربيّ النّقديّ، والمختلفِ جوهريًّا عن نظيرِه المشرقيّ.

ويعلّقُ الجابري على تجربةِ حيّ بنِ يقظانَ بالقولِ: "إنّ الفيلسوفَ الأندلسيَّ يتركُ الطريقين (الدينَ والفلسفةَ) متوازيين في النّهايةِ كما وضعَهما في البدايةِ. لقد فشلَ حيٌّ في إقناعِ سلامانَ وجمهورِه بأنّ معتقداتِهم الدينيّةَ ليست سوى مثالاتٍ ورموزٍ للحقيقةِ المباشرةِ التي وصلَ إليها بالعقلِ. فشلَ في ذلك، وعادَ إلى جزيرتِه، وهو ما يعني فشلَ المدرسةِ الفلسفيّةِ في المشرقِ، التي بلغت أوجَها مع ابنِ سينا، في سعيِها إلى دمجِ الدينِ بالفلسفةِ. أمّا البديلُ الذي يطرحه ابنُ طفيلٍ، ومن ورائه المدرسةُ الفلسفيّةُ المغربيّةُ الأندلسيّةُ، فهو الفصلُ بينَ الدينِ كمنظومةٍ إيمانيّةٍ رمزيّةٍ موجهةٍ للعامةِ، والفلسفةِ كمعرفةٍ عقلانيّةٍ خاصّةٍ بالنخبةِ. وهذا ما يعكسُ موقفَ الجابري نفسِه: ضرورةُ الفصلِ بين العقيدةِ والفكرِ الفلسفيّ، مع احترامِ كلٍّ منهما لوظيفتِه ومجالِه الخاصّ والفلسفة" (Al-Jabri, 1991, p. 212).

في كتابه "العقلِ السياسيّ العربيّ"، يتوجّه الجابريُّ في تحليلِه إلى كيفيّةِ تفاعلِ وتأثيرِ العالمِ العربيّ مع الحداثةِ الغربيّةِ، وكيفَ تمّ استخدامُ مفاهيمَ مثل (العلمانيّةِ والديمقراطيّةِ) بشكلٍ يتناسبُ مع السياقِ العربيّ. يرى الجابريُّ أنّ الاستعمارَ الفكريَّ من خلالِ تغريبِ الفكرِ العربيّ هو أحدُ أخطرِ التحدّياتِ التي تُواجه الهويّةَ العربيّةَ، وأنّ الحلَّ يكمنُ في تطويرِ نماذجَ حديثةٍ تستندُ إلى التراثِ ولكن بشكلٍ نقديّ.

بالنسبةِ لقضيّةِ الهويّةِ تُحسبُ واحدةً من المحاورِ الرئيسيّةِ في فكرِ الجابريّ. فقد كان يعتقدُ ويجزمُ أنّ إعادةَ بناءِ الهويّةِ العربيّةِ تحدثُ بمواجهةِ التحدّياتِ الفكريّةِ والمعرفيّةِ التي فرضَتها العولمةُ والحداثةُ.

لذا، دعا الجابريُّ إلى صياغةِ هويّةٍ عربيّةٍ حديثةٍ تأخذُ في الاعتبارِ الواقعَ الراهنَ، وتحافظُ في نفسِ الوقتِ على التراثِ الثقافيّ والدينيّ دون الإخلالِ به.

وفي ظلِّ التحوّلاتِ العالميّةِ المتسارعةِ بشكلٍ مخيفٍ، ظهرت تحدّياتٌ وصعوباتٌ جديدةٌ تُواجه الهويّةَ العربيّةَ والإسلاميّةَ، ومنها (التبعيّةُ الثقافيّةُ للغربِ وتراجُعُ اللغةِ العربيّةِ كلغةِ علمٍ وفكرٍ). يُلاحظُ الجابريُّ أنّ الهويّةَ الثقافيّةَ العربيّةَ تشكو من أزمةٍ تتجلّى في فقدانِ التوازنِ بين الانفتاحِ على العالمِ والتمسّكِ بالتراثِ.

يطرحُ الجابريُّ أنّ الحلَّ يكمنُ في استعادةِ الثقةِ بالذاتِ الثقافيّةِ من خلالِ إعادةِ قراءةِ التراثِ وتأويلِه برؤيةٍ نقديّةٍ تبني القدرةَ على الابتكارِ والتكيّفِ مع المتغيّراتِ الراهنةِ.

كما كانت قضيّةُ الوحدةِ العربيّةِ جزءًا أساسيًّا من فكرِ الجابريّ. فقد أسفرَ تفكيرُ الجابريّ عن أنّ تعزيزَ الهويّةِ المشتركةِ بين الدولِ العربيّةِ هو السبيلُ والمنقذُ الوحيدُ لتحقيقِ الوحدةِ السياسيّةِ والاقتصاديّةِ. ومع ذلك، كان الجابريُّ واعيًا وحاضرَ الذهنِ بالتحدّياتِ التي تعوقُ تحقيقَ هذه الوحدةِ، خاصّةً في ظلِّ التباينات السياسيّةِ والاجتماعيّةِ بين الدولِ العربيّةِ.

بناءً على ذلك، دعا إلى الحفاظِ على الهويّةِ الثقافيّةِ المشتركةِ كخطوةٍ أوليّةٍ، وتقويةِ مفهومِها نحو تحقيقِ الوحدةِ المتكاملةِ، مؤكّدًا أنّ الهويّةَ ليست مجرّد فكرةٍ ثابتةٍ، بل هي عمليّةٌ ديناميكيّةٌ متحرّكةٌ تتشكّلُ من خلالِ التفاعلِ مع الآخرِ ومع الواقعِ المعاصرِ لتُواكبَ الرّكبَ.

واجه الجابريُّ قضايا الحداثةِ بشكلٍ مباشرٍ وقويّ، حيثُ أتت رؤيتُه لها بناءً على أنّ التفكيرَ العربيَّ التقليديَّ، خاصّةً في ظلِّ هيمنةِ النظامِ البيانيّ، قد عجزَ عن الاستجابةِ للتحدّياتِ العالميّةِ التي تتطلّبُ تفكيرًا نقديًّا ورؤًى عقلانيّةً متجدّدةً.

وقد أتت دعوتُه إلى اعتمادِ نهجٍ بُرهانيٍّ وعِرفانيٍّ يمكنُ من خلالِه تحديثُ الفكرِ العربيّ، ما يُمكّنُه من مواجهةِ التحدّياتِ العالميّةِ مثل العولمةِ، والتطوّرِ التكنولوجيّ، والانفتاحِ على الثقافاتِ الأخرى.

إنّ الجمعَ بين الحفاظِ على الهويّةِ الثقافيّةِ العربيّةِ وتطويرِ الفكرِ النّقديّ هو ما يجعلُ من نقدِ الجابريّ أرضيّةً صلبةً لتطويرِ نماذجَ فكريّةٍ عربيّةٍ حديثةٍ.

الفصل الرابع: تأثير الجابري على الفكر العربي المعاصر

يُعدّ محمّدٌ عابدٌ الجابريُّ أحدَ أكثرِ المُفكّرينَ تأثيرًا في العالمِ العربيّ خلالَ العقودِ الأخيرةِ. فقد أثّرت أفكارُهُ على جيلٍ كاملٍ من المفكّرينَ والباحثينَ الذينَ انخرطوا في دراسةِ التراثِ العربيّ والإسلاميّ من مَنظورٍ نقديّ. إنّ مشروعَهُ "نقدَ العقلِ العربيّ" أصبحَ مرجعًا أساسيًّا في الأوساطِ الأكاديميّةِ والنقديّةِ.

يقولُ الجابريُّ: "وإذا نحنُ انتقلنا الآنَ إلى النهضةِ الأوروبيّةِ الحديثةِ، وجدناها تتّخذُ الآليّةَ ذاتَها، آليّةَ العودةِ إلى الأصولِ بدايةً بها ومُنطلقًا. وهي العمليّةُ التي بدأت، كما هو معروفٌ، مع القرنِ الثاني عشرَ الميلاديّ في صورةِ إحياءِ الآدابِ الرومانيّةِ والإغريقيّةِ، وما أعقَبَ ذلك من قيامِ النزعةِ الإنسانيّةِ والثورةِ على الأخلاقِ المسيحيّةِ السائدةِ يومئذٍ، المُكرّسةِ للخضوعِ والتسليمِ، فكانت النتيجةُ من الثورةِ على كنيسةِ القرونِ الوسطى وقيامِ حركةِ الإصلاحِ الدينيّ المناهِضةِ للرهبانيّةِ، الداعيةِ إلى العودةِ إلى المسيحيّةِ في صفائِها الأوّلِ، واعتمادِ التوراةِ مرجعًا أعلى، مع ما رافقَ ذلك من حركةِ النهضةِ، كانت النتيجةُ أن تفكّكت بنيةُ نظامِ القرونِ الوسطى، الذي كان يُشكّلُ وحدةً عضويّةً متكاملةً، فانفتحَ البابُ أمام انبثاقِ فكرٍ جديدٍ، فلسفةً وعلومًا، وعادَ مركزُ السلطةِ الفكريّةِ إلى تجربةِ الفردِ وعقلِه" (Al-Jabri, 2005, p. 23).

"لقد أثّرَت أفكارُ الجابريّ على العديدِ من المفكّرينَ العربِ المعاصرينَ، حيثُ تمَّ تبنّي منهجيّتِهِ النقديّةِ في تحليلِ التراثِ والفكرِ العربيّ. وأشغلت العديدَ من المفكّرينَ؛ على سبيلِ المثالِ، اعتنقَ تفكيرَهُ مفكّرونَ أمثالَ (جورج طرابيشي وحسن حنفي) مواقفَ نقديّةً تجاه مشروعِ الجابريّ، حيثُ طرحوا رؤًى مغايرةً تعتمدُ على تأويلٍ مختلفٍ للتراثِ العربيّ.

أرجعَ محمّدٌ عابدٌ الجابريُّ قراءةَ التراثِ العربيّ الإسلاميّ من خلالِ منهجيّةٍ نقديّةٍ متكاملةٍ غيرِ مُتطرّقٍ لها مسبقًا، قَوامُها وعُمدتُها التفكيكُ وإعادةُ التأويلِ.

من المُلاحَظِ في فكرِ الجابريّ في مشروعِهِ تأثّرهُ بمفكّرينَ إسلاميّينَ سابقينَ مثلَ ابنِ رشدٍ، الذي دعا في كتابِهِ "فصلِ المقالِ فيما بينَ الحكمةِ والشريعةِ من الاتصالِ" إلى ضرورةِ التوفيقِ بين الفلسفةِ والدينِ عن طريقِ التأويلِ العقليّ. ومن خلالِ هذه المنهجيّةِ، حاول الجابريُّ تقديمَ قراءةٍ جديدةٍ للتراثِ تتجاوزُ التفسيرَ التقليديَّ للنصوصِ الإسلاميّةِ، مُشدّدًا على أهميّةِ النقدِ العقلانيّ في فهمِ النصوصِ وتخليةِ تراكيبِها.

فكانت عدّةُ قراءاتٍ قدَّمَها العديدُ من المُشتغلينَ بالحقلِ الفلسفيّ، فقد قال محمّدٌ علي الكبسيُّ:"لقد اعتمدَ الجابريُّ تأويلَ التراثِ ماضيًا وحاضرًا لاكتشافِ ثوابتِهِ ومُتغيّراتِهِ، كشفًا يجعلُ من السهلِ محصورةَ الحوارِ بين النصّ والقارئ، لا لقراءةِ ما يُعلِنُهُ، بل لقراءةِ ما لا يعلنه ". (Al-Kabbasi, 2007, p. 152)

أمّا عن قولِ علي رحمونة سحبون، فقد قال: "من المعلومِ أنّ الجابريَّ انشغلَ مثلَ غيرِهِ من المفكّرينَ العربِ المعاصرينَ بهمومِ أمّتِهِ التي ترزحُ تحتَ نيرِ التبعيّةِ الفكريّةِ والتجزئةِ السياسيّةِ، وهذا الانشغالُ دفعهُ لأنْ ينشغلَ بما يُفعّلُ في الساحةِ العربيّةِ من طروحاتٍ فكريّةٍ تتّصلُ بمشكلةِ النهضةِ" (Sahboun, 2007, p. 86).

وبذلك يطرحُ الجابريُّ موضوعًا ليس كبقيّةِ المعلوماتِ التي نعلمُها، وذلك لكونِ التراثِ يتعلّقُ بالذاكرةِ الجمعيّةِ.

يقول البرقاويُّ: "إنّ بحثَ الجابريّ في القارّةِ التراثيّةِ لا يندرجُ ضمنَ البحثِ التراثيّ التقليديّ، إنّه يشتغلُ بالجبهةِ التراثيّةِ ليُعلِنَ أوّلًا أنّ المجالَ التراثيَّ ذاكرةٌ جمعيّةٌ... ومن حقّ الجميعِ أن يُرتّبوا طبيعةَ علاقاتِهم بمنتوجِها، بالشكلِ الذي يُناسبُ اهتمامَهم واختياراتِهم الفكريّةَ العامّةَ، ويتناسبُ في الوقتِ نفسهِ وطموحَهم التاريخيَّ (Barqawi, 2004, p. 24).

ورغمَ الانتقاداتِ التي وُجّهتْ له، يظلُّ الجابريُّ رمزًا للفكرِ النقديّ في العالمِ العربيّ.

يقول الجابريُّ: "وإذا نحن نظرنا إلى تاريخِ الفكرِ الأوروبيّ الحديثِ، وبكيفيةٍ خاصّةٍ منذ بيكون وديكارت (القرنِ السابعِ عشرَ) وجدناه عبارةً عن سلسلةٍ من المراجعاتِ لـ"التراثِ"، مفهومًا على أنّه فكرُ الماضي وفكرُ الحاضرِ معًا، فمنذ أن دعا بيكون إلى التحرّرِ من جميعِ الأوهامِ (أوهامِ القبيلةِ، وأوهامِ الكهفِ، وأوهامِ السوقِ، وأوهامِ المسرحِ) واعتمادِ التجربةِ منطلقًا ومعيارًا، ومنذ أن تبنّى ديكارتُ الشكَّ منهجًا وأعلن عن ضرورةِ "مسحِ الطاولةِ" والتحرّرِ من جميعِ السلطاتِ المعرفيّةِ، والاعتمادِ على سلطةِ العقلِ وحدَه، سلطةِ البداهةِ والوضوحِ... منذ بيكون وديكارتَ والفكرُ الأوروبيُّ يُعيدُ قراءةَ تاريخِهِ على أساسٍ من الانفصالِ والاتصالِ، من النظرِ وإعادةِ النظرِ، من النقدِ ونقدِ النقدِ. إنَّ الانفصالَ عن التراثِ كان من أجلِ تجديدِ الاتصالِ به، والاتصالِ به كان من أجلِ تجديدِ الانفصالِ عنه" (Al-Jabri, 2005, p. 35).

يقولُ الجابريُّ: "إنَّه لا بُدَّ من الامتلاءِ بالثقافةِ العربيّةِ والتراثِ العربيّ الإسلاميّ عند الخوضِ في الحداثةِ الأوروبيّةِ الحديثةِ وقضاياها وإمكانيّةِ تبنّيها أو اقتباسِ شيءٍ منها. فالامتلاءُ بالثقافةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ، وهي ثقافتُنا القوميّةُ، هو امتلاءُ الهويّةِ، وبدونِ هويّةٍ ممتلئةٍ بمقوّماتِها يكونُ الانفتاحُ على الثقافاتِ الأخرى، خاصّةً المهيمنةِ منها، مدعاةً للانزلاقِ نحوَ الوقوعِ فريسةً للاستلابِ والاختراق" (Al-Jabri, 2000, p. 177).

اليومَ، يستمرُّ تأثيرُ الجابريّ في الفكرِ العربيّ، حيثُ تُستخدمُ أفكارُه في تحليلِ القضايا الراهنةِ مثلَ الإسلامِ السياسيّ، والعلاقةِ بينَ الدينِ والدولةِ، وقضيةِ الهويّةِ. ورغمَ مرورِ أكثرَ من عقدٍ على وفاتِه، إلّا أنَّ كتاباتِه ما زالت تحظى باهتمامٍ واسعٍ في الأوساطِ الأكاديميّةِ. يمكنُ القولُ إنَّ الجابريَّ قد أسّسَ تقليدًا فكريًّا نقديًّا ما زالَ يُؤثّرُ في الأجيالِ الحاليّةِ منَ المفكّرينَ والباحثينَ.

يقولُ الباحثُ اللّسانيُّ المغربيُّ عبدُ القادرِ الفاسي الفهريّ: "إنّهُ يمكنُ أن يُتَوَخّى من التراثِ انطلاقُ النهضةِ. كذلكَ يمكنُ أن ننظرَ إلى التراثِ كعائقٍ للنهضةِ. وهذا شيءٌ ليسَ من بابِ التمنّي، ولا من بابِ عدمِ التمنّي، ولكنّهُ شيءٌ موجودٌ وفعليٌّ، وهو أنَّ التراثَ في كثيرٍ من الأحيانِ عائقٌ لِهاتِه النهضةِ، وفي

المجالِ اللغويّ والمجالِ اللّسانيّ أتحدّثُ عن تجربةٍ. كانتِ الدعوةُ إلى التراثِ، في كثيرٍ من الأحيانِ، وما زالت، عائقًا للتطوّرِ والتصوّرِ ولحلّ مشاكلِ اللغةِ العربيّةِ، فمشاكلُ اللغةِ العربيّةِ الفعليّةُ يمكنُ أن نتحدّثَ عنها، وأن نقفَ عندما يُقدّمُ لنا التراثُ من حلولٍ لها. إذا أردنا، مثلًا، أن نضعَ كتابًا مدرسيًّا، كتابًا لقواعدِ اللغةِ العربيّةِ، فما هي الحلولُ التي يُقدّمُها لنا التراثُ؟ وما هي الحلولُ التي يمكنُ أن نستخلصَها من اللسانيّاتِ الحديثةِ؟ إذا أردنا أن نَحلَّ مشكلَ التعريبِ، وهو مشكلٌ فعليٌّ، فما هو التنظيرُ أو ما هو المنهجُ الذي يمكنُ أن يأتي عبرَ التراثِ؟ إنّ التراثَ، في كثيرٍ من الأحيانِ، يجعلُنا نتأخّرُ عن ظرفِنا، ونبقى دائمًا في زمانِ التراثِ لا زمانِنا الحاليّ والمستقبليّ. هناكَ تراجعٌ، وعدمُ وُلوجِ التاريخ" (Fihri, 1986, p. 94).

قدّم الجابريّ مفهومًا جديدًا للتعاملِ مع التراثِ، حيثُ دعا إلى ضرورةِ نقدِه بصورةٍ تبتعدُ عن التقديسِ المطلقِ أو الرفضِ الكلّيّ. فقد ركّز على أهميّةِ التفكيكِ النقديّ للنصوصِ التراثيّةِ وإعادةِ تأويلِها بما يتناسبُ مع متطلباتِ العصرِ الحديثِ. هذه الرؤيةُ ساهمت في إحياءِ النقاشِ حولَ كيفيةِ استثمارِ التراثِ في خدمةِ قضايا الحداثةِ دون التنازلِ عن الهويّةِ الثقافيةِ. ومن هنا، بدأ المفكّرون العرب يتجهون نحو نماذجَ فكريّةٍ تجمع بين النقدِ العقلانيّ للتراثِ وبين الحفاظِ على الأصالةِ الثقافيةِ.

تأثّر الفكرُ العربيّ المعاصرُ بمشروعِ الجابريّ النقديّ في جوانبَ متعدّدةٍ، منها الثقافيةُ والاجتماعيةُ. فالنقدُ الذي قدّمه للجوانبِ الإبستمولوجيّةِ (المعرفيّةِ) في الفكرِ العربيّ أتاح للمفكّرين العرب إعادةَ النظرِ في الأسسِ التي قامت عليها المجتمعاتُ العربيّةُ. ومن خلال هذا النقدِ، أصبح من الممكنِ فهمُ التأخّرِ الحضاريّ الذي تعاني منه بعضُ المجتمعاتِ العربيّةِ من خلال تحليلِ الأنظمةِ الفكريّةِ والثقافيةِ التي تحكّمت في العقلِ العربيّ على مرّ العصورِ.

لقد ترك نقدُ الجابريّ للعقلِ العربيّ منهجًا عميقًا غريبًا على الأجيالِ الجديدةِ من المفكّرينَ والباحثينَ العربِ. فقد ساعدهم في تبني منهجيّاتٍ نقديّةٍ تسعى إلى تفكيكِ الأفكارِ التقليديّةِ وإعادةِ بنائها بما يتلاءمُ مع روحِ العصرِ. لقد أصبح التفكيرُ النقديّ جزءًا أساسيًا من مشاريعِهم الفكريّةِ التي تتناولُ قضايا معاصرةً مثل الديمقراطيّةِ، وحقوق الإنسانِ، والتنويرِ، والعدالةِ الاجتماعيةِ. هذا التأثيرُ ليس محصورًا فقط في الأوساطِ الأكاديميّةِ بل يمتدُّ إلى الحركاتِ الفكريّةِ والاجتماعيّةِ التي تسعى إلى تغييرِ واقعِ المجتمعاتِ العربيّةِ في ظلّ عصرِ الرقمنةِ الآخذِ في التطوّرِ والتغيّرِ بكلّ جوانبِه.

الخاتمة:

لقد شكّلَت إسهاماتُ محمدِ عابدِ الجابريّ في "نقدِ العقلِ العربيّ" نُقْطَةَ تحوُّلٍ مُهِمَّةٍ في الفكرِ العربيّ الحديثِ. فبفضلِ تحليلِه النَّقديّ العميقِ، فَتَحَ المجالَ أمامَ مفكرينَ آخرينَ لإعادةِ التفكيرِ في قضايا التراثِ والحداثةِ والهويةِ.

ويبقى مشروعُ محمدِ عابدِ الجابريّ النَّقديُّ مرجعًا أساسيًّا لأيّ محاولةٍ لفهمِ أو معالجةِ أو مراجعةِ التحدياتِ التي يواجهها العالمُ العربيُّ في هذا العصرِ، سواءً على المستوى الفكريّ أو الاجتماعيّ أو السياسيّ. فالنقدُ الذي ألقى على العقلِ العربيّ لا يقتصرُ فقط على مراجعةِ التراثِ وتنقيحِه، بل يمتدُّ ليشملَ إعادةَ صياغةِ الهويةِ العربيةِ وتحديثَ الفكرِ العربيّ ليصبحَ قادرًا على مواجهةِ تحدياتِ العولمةِ والحداثةِ.

وقد بدا جليًّا أن الفكرَ العربيَّ بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الدراساتِ والأبحاثِ التي تسيرُ على دربِ ونهجِ الجابريّ في تناولِ التراثِ بنظرةٍ نقديةٍ وتحليليةٍ. كما أن هناك ضرورةً لتطويرِ نماذجَ فكريةٍ جديدةٍ تستندُ إلى التراثِ، ولكنها منفتحةٌ على الابتكارِ والتغييرِ ومتقبلةٌ للعصرِ. إن مستقبلَ الفكرِ العربيّ يتأسسُ، إلى حدٍّ كبيرٍ، على القدرةِ على المزجِ بين الحفاظِ على الهويةِ الثقافيةِ والتكيفِ مع متطلباتِ العصرِ، وهي المهمةُ التي شرعَ فيها الجابريُّ ودعا الآخرينَ إلى مواصلتها والعملِ عليها.

أولًا: النتائج

لقد توصّلت هذه الدراساتُ إلى عدةِ نتائج وهي:

- تأثيرُ الأنظمةِ المعرفيّةِ على العقلِ العربيّ واضحٌ وجليٌّ.
- سيطرةُ النظامِ البيانيّ أسفرت عن ركودٍ فكريٍّ في العالمِ العربيّ، مما أعاقَ تطوّرَ الفكرِ العقلانيّ والنقديّ. بينما ساعدَ النظامُ البرهانيُّ والعرفانيُّ في تقديمِ بدائلَ معرفيّةٍ، إلا أن تأثيرَهما كان محدودًا نوعًا ما مقارنةً بالنظامِ البيانيّ.
- أتى نقدُ الجابريّ للتراثِ في إعادةِ تأويلِ النصوصِ القديمةِ، مما سمحَ للمفكرينَ العربِ بالرغبةِ في وأجّجَ العقدَ لفهمِ التراثِ بطريقةٍ أكثر ملاءمةٍ مع العصرِ الحديثِ.
- أفسحَ النقدُ المجالَ لإعادةِ التفكيرِ في مفاهيمَ تقليديّةٍ موروثةٍ وبديهيّةٍ، وتعزيزِ التفكيرِ النقديّ.
- استطاعَ الجابريُّ دمجَ الفكرِ النقديّ مع الحفاظِ على الهويةِ الثقافيّةِ، واقتدرَ على صنعِ استراتيجيةٍ فعالةٍ لمواجهةِ تحدياتِ العولمةِ والحداثةِ. فجاءَ هذا الدمجُ في تطويرِ نماذجَ حديثةٍ تراعي متطلباتِ العصرِ دون التفريطِ أو الإفراطِ في الخصوصيّةِ الثقافيّةِ، مما يساهمُ في القدرةِ على الابتكارِ والخلقِ والتكيفِ مع المتغيّراتِ العالميةِ المعاشةِ.
- إنّ مشروعَ محمدِ عابدِ الجابريّ في نقدِ العقلِ العربيّ لا يمكنُ النظرُ إليه إلا كعلامةٍ فارقةٍ في تاريخِ الفكرِ العربيّ المعاصرِ. فمن خلالِ تقديمِه قراءةً نقديّةً شاملةً للبنيةِ المعرفيّةِ العربيّةِ، تمكّنَ الجابريُّ من إعادةِ توجيهِ النقاشاتِ الفكريّةِ نحو قضايا أكثرَ حيويّةً ترتبطُ بالتراثِ والحداثةِ والهويةِ. وما زال تأثيرُه يتردّدُ في الأوساطِ الفكريّةِ إلى يومنا هذا، ما يجعلُ من دراستِه ومنهجيّتِه النقديّةِ مرجعًا هامًا لمن يسعى إلى فهمِ ومعالجةِ التحدياتِ التي تواجه الفكرَ العربيَّ في ظلّ الحداثةِ والعولمةِ.

ثانيًا: التّوصيّات

وبناءً على النّتائج الّتي خلُصت إليها الدّراسة فإنّنا نوصي بما يلي:

- تعميقُ الوعيِ النّقديّ بالتراثِ العربيّ الإسلاميّ، من خلالِ قراءتِه قراءةً عقلانيّةً تتجاوزُ ثنائيّةَ التقديسِ والقطيعةِ، وتسعى إلى تفعيلِه بوصفِه مَوردًا للفكرِ لا قيدًا عليهِ.
- الانفتاحُ على المناهجِ الإبستمولوجيّةِ الحديثةِ في دراسةِ الفكرِ العربيّ، لما لها من قدرةٍ على تفكيكِ البُنى المعرفيّةِ وكشفِ آليّاتِ إنتاجِ المعرفةِ داخلَ النسقِ الثقافيّ.
- دمجُ النّماذجِ الفكريّةِ العربيّةِ المعاصرةِ، كالجابريّ، في المناهجِ الجامعيّةِ، تعزيزًا لحضورِ الفكرِ النّقديّ، وربطًا بين الطلبةِ وأسئلتِهم المعاصرةِ ضمنَ أُطرٍ علميّةٍ رصينةٍ.
- تشجيعُ المقارباتِ المركّبةِ في تحليلِ المشاريعِ الفكريّةِ، من خلالِ التّكاملِ بين التحليلِ البنيويّ، والنّقدِ التاريخيّ، والسّياقِ الثّقافيّ، للوصولِ إلى فهمٍ أشملَ لإشكاليّاتِ التراثِ والحداثةِ.
- إعادةُ قراءةِ التراثِ قراءةً نقديّةً داخليّةً، تستنطقُ النّصوصَ ضمنَ سياقاتِها التّاريخيّةِ، وتُعيدُ تموضعَها في ضوءِ حاجاتِ العقلِ العربيّ المعاصرِ دونَ الوقوعِ في الاستلابِ أو التّقليدِ.

ثالثًا: المقترحات

وبناءً على ما توصّلت إليه الدّراسة من نتائجَ ومعطياتٍ، فإنّنا نقترح في هذا السّياق ما يأتي:

- إجراءُ دراسةٍ مقارنةٍ بين مشروعِ محمّد عابد الجابريّ ومشاريعَ فكريّةٍ عربيّةٍ أخرى، مثلَ محمد أركون أو حسن حنفي، بغيةَ الكشفِ عن أوجهِ التلاقي والافتراقِ في معالجةِ قضايا التراثِ والعقلِ والحداثةِ.
- تحليلُ أثرِ مشروعِ الجابريّ في الخطابِ الفلسفيّ العربيّ المعاصرِ، ورصدُ امتداداتهِ في دراساتِ الفكرِ والنقدِ، ولا سيّما في مجالاتِ إصلاحِ الفكرِ الدينيّ والسياسيّ.
- دراسةُ البُعدِ التربويّ والمعرفيّ في مشروعِ الجابريّ، واستكشافُ إمكانيّةِ توظيفِه في تطويرِ مناهجِ التعليمِ العربيّ، وخاصةً في مجالاتِ الفلسفةِ والتّفكيرِ النّقديّ.
- البحثُ في الأُسسِ الأنثروبولوجيّةِ والاجتماعيّةِ لمقولاتِ العقلِ في التراثِ العربيّ، ومحاولةُ الربطِ بين البُنى المعرفيّةِ وتحولاتِ المجتمعِ العربيّ عبرَ التاريخِ.

المراجع:

المراجع العربية:

- **القرآن الكريم.**

الجابري، محمد عابد. (1984). *تكوين العقل العربي*. المركز الثقافي العربي.

الجابري، محمد عابد. (1986). *بنية العقل العربي*. المركز الثقافي العربي.

الجابري، محمد عابد. (1990). *العقل السياسي العربي*. المركز الثقافي العربي.

الجابري، محمد عابد. (1991). *التراث والحداثة*. المركز الثقافي العربي.

الجابري، محمد عابد. (1991). *نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي*. مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد. (2001). *العقل الأخلاقي العربي*. المركز الثقافي العربي.

زيغور، م. (2016). مشروع الجابري واشكالية التراث. *مجلة الثقافة المغربية*، 28(4)، 60-79.

الشياب، أ. (2014). أثر الجابري في الفسلفة العربية المعاصرة. *مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية*، 19(3)، 95-115.

الشيخ، س. (2010). نقد العقل العربي بين الاصالة والمعاصرة. *مجلة الفكر العربي المعاصر*، 51.

الشيخ، م. (2005). *محمد عابد الجابري وإشكالية التراث*. دار الطليعة.

العجارمة، ر. (2017). محمد عابد الجابري ونقد العقل العربي: قراءة في مشروعه الفكري. *مجلة دراسات فلسفية*، 12(2)، 85-104.

العجارمة، س. (2012). *النقد العربي الحديث: قضايا ومقاربات*. دار كنوز المعرفة.

عماري، س. (2010). *محمد عابد الجابري: سيرة مسار*. دار توبقال.

الكردي، ر. ع. (1992). *نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة (1 ed.)*. مكتبة المؤيد.

الكردي، راجح عبد الحميد. (1992). *نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة* (الإصدار 1). مكتبة المؤيد.

الهواري، ن. (2011). *النهضة والفكر العربي المعاصر*. أفريقيا الشرق.

المراجع الأجنبية:

Al-Jabri, M. A. (2000). *The Arab renaissance project: A critical review (ed 1)* beirut: Center for Arab Unity Studies.

Al-Jabri, M. A. (2000). *The Arab renaissance project: A critical review (ed 2)* beirut: Center for Arab Unity Studies.

Al-Jabri, M. A. (2005). Issues of contemporary Arab thought *(ed 5)* beirut: Center for Arab Unity Studies.

Al-Jabri, M. A. (2009). The formation of Arab reason *(ed 10)* beirut: Center for Arab Unity Studies.

Al-Jabri, M. A. (1986). *Heritage and methodological problems. In Methodology in literature and human sciences*. casablanka: Dar Toubkal Publishing.

Al-Jabri, M. A. (1991). *Heritage and Modernity: Studies and Discussions (ed 1)* beirut: Center for Arab Unity Studies.

Arkoun, M. (1987). *Islamic thought*. H. Saleh, Center for National Development.

Barqawi, A. (2004). *Heritage and renaissance: A reading in the works of Mohammed Abed Al-Jabri (ed 1)*. beirut: Center for Arab Unity Studies.

Fihri, F. (1986). *Discussion. In Methodology in literature and human sciences*. casablanka: Dar Toubkal.

Ibn Manzur. (1993). *Lisan al-Arab: Abridged edition (ed 1)* beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

M. A. Al-Kabbasi. (2007). *Readings in contemporary Arab. (ed 2)* dawha, dawha: Dar Al-Farqad.

Sahboun, A. R. (2007). *The problematics of heritage and modernity in contemporary Arab thought: Mohammed Abed Al-Jabri and Hassan Hanafi as a model – A comparative analytical study*. beirut: Manshat Al-Maaref.